

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شرح كتاب أضواء البيان

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

مسجد جعفر الطيار	المكان:	١٤٤٠/٠٣/١٠ هـ	تاريخ المحاضرة:
------------------	---------	---------------	-----------------



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله تعالى-: "قَوْلُهُ تَعَالَى: **{قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدًا إِذْ أَمَرْتُكَ}** [الأعراف: ١٢].

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ، وَ(لَا) صَلَاةً، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: فِي سُورَةِ (ص):

الصلة يقول: (لا) صلة هذا أدب مع القرآن، وإلا فأهل العربية يقولون: زائدة؛ ولكون الصلة لا محل لها من الإعراب شَبَّهَها بها من هذه الحيثية قالوا: صلة كأنها صلة موصول لا محل لها من الإعراب.

وعلى كل حال كونها صلة متعين؛ لأنها ذُكِرَتْ وجاء عدم ذكرها في القرآن نفسه، وجاء في قوله -جلّ وعلا-: **{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}** [الواقعة: ٧٥] (لا) تعين أن تكون صلة؛ لأنه قال بعد ذلك: **{وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ}** [الواقعة: ٧٦] قسم مثبت ومؤكد، **{وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}** [الواقعة: ٧٦].

ولذا يُذَكَّرُ عن الحسن البصري قراءة حذف (لا) وإثبات لام التأكيد **{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}** [الواقعة: ٧٥] جعلها لام مؤكدة بدلاً من لا.

وعلى كل حال في الموضع الذي معنا **{مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدًا}** [الأعراف: ١٢] وفي سورة ص: **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ}** [ص: ٧٥] لو كان الأصل ثبوت (لا) لقال عنه أهل العربية ممن يُقرُّ بالمجاز قال: في الآية الثانية مجاز الحذف، كما قالوا في قوله -جلّ وعلا- في سورة الكهف: **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}** [الكهف: ٧٢]، وفي الآية الثانية **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ}** [الكهف: ٧٥] قالوا: في الآية مجاز الحذف.

وعلى كل حال إثبات المجاز ونفيه مسألة معروفة عند أهل العلم، والخلاف فيها مشهور، والمحققون لا يرون ثبوت المجاز لاسيما في النصوص في الكتاب والسنة؛ لأنهم يستدلون عليه بجواز نفيه، وليس في كلام الله وكلام رسوله ما يجوز نفيه.

وهذه المسألة تكلم عليها الشيخ في (دفع إيهام الاضطراب) وهو معنا الكتاب.

"وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (ص): **{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بَيْنَ يَدَيْ}** [ص: ٧٥] الآية، وَقَدْ أَوْضَحْنَا زِيَادَةَ لَفْظَةِ (لَا) وَشَوَاهِدَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ، فِي كِتَابِنَا (دَفْعُ إِيهَامِ الْإِضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ)، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى".

نسمع ما قاله الشيخ في هذه المسألة من الكتاب المشار إليه.

من أول السورة اقرأ.

عكس ما ذكر هنا هو من كلام عامي يقرأ قراءةً محرّفةً وقد سمعته يوم الناس **{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ**

**عَنِ النَّعِيمِ}** [التكاثر: ٨] ماذا قرأها؟

(ثم لا تُسألن) قلب للمعنى يقرأها في الصلاة.

"سُورَةُ النَّبَأِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ يَتَبَادَرُ مِنْ ظَاهِرِهَا أَنَّهُ تَعَالَى أَحْبَرَ بِأَنَّهُ لَا يُقْسِمُ بِهَذَا النَّبَأِ الَّذِي هُوَ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: **{وَهَذَا النَّبَأِ الْأَمِينِ}** [التين: ٣] والجواب من أربعة وجوه:

الأول: وَعَلَيْهِ الْجُمُهُورُ، أَنَّ (لَا) هُنَا صِلَةٌ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ، فَإِنَّهَا رَبَّمَا لَفِظَتْ بِلَفْظَةِ (لَا) مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعْنَاهَا الْأَصْلِي، بَلْ لِمَجْرَدِ تَقْوِيَةِ الْكَلَامِ وَتَوْكِيدِهِ كَقَوْلِهِ: **{مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ}** [طه: ٩٢-٩٣] يَغْنِي أَنْ تَتَّبِعَنِي، وَقَوْلِهِ: **{مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ}** [الأعراف: ١٢]، أَيْ أَنْ تَسْجُدَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ.

وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ (ص): **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ}** [ص: ٧٥] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ: **{لَنَلَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ}** [الحديد: ٢٩]، أَيْ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَقَوْلُهُ: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ}** [النساء: ٦٥]، أَيْ فَوَرَبِّكَ، وَقَوْلُهُ: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}** [فصلت: ٣٤] أَيْ وَالسَّيِّئَةُ وَقَوْلُهُ: **{وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** [الأنبياء: ٩٥] عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ. وَقَوْلُهُ: **{وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الأنعام: ١٠٩]، عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَقَوْلُهُ: **{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا}** [الأنعام: ١٥١] عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ الْمَاضِيَةِ.

وَكَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ:

فَلَا أَلُومَ الْبَيْضِ أَلَّا تَسْخَرَ  
لَمَّا رَأَيْنَ الشَّمِيطَ الْقَفْنَدَرَا  
يَغْنِي أَنْ تَسْخَرَ.

وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَتَلْحِيذِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أُحِبَّهُ  
وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ  
يَغْنِي أَنْ أُحِبَّهُ وَ(لَا) زَائِدَةٌ.

وَقَوْلِ الْآخَرِ:

أَبَى جُودُهُ لَا الْبُخْلُ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ  
نَعْمٌ مِنْ فُتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ قَاتِلُهُ  
يَغْنِي أَبَى جُودُهُ الْبُخْلُ، وَ(لَا) زَائِدَةٌ عَلَى خِلَافٍ فِي زِيَادَتِهَا فِي هَذَا النَّبَيْتِ الْأَخِيرِ، وَلَا سِيَّمَا عَلَى رِوَايَةِ (الْبُخْلُ) بِالْجَرِّ؛ لِأَنَّ (لَا) عَلَيْهَا مُضَافٌ بِمَعْنَى لَفْظَةٍ لَا، فَلَيْسَتْ زَائِدَةٌ عَلَى رِوَايَةِ الْجَرِّ. وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ  
لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ



يَغْنِي وَأَيْبِك.

وَأُنشِدَ الْفَرَّاءَ لِيَزَادَةَ (لَا) فِي الْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ مَعْنَى الْجَحْدِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ دِينَهُمْ وَالْأَطْيَبَانَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ

يَغْنِي وَعَمْرُ، وَ(لَا) صِلَةٌ.

وَأُنشِدَ الْجَوْهَرِيَّ لِيَزِيدَهَا قَوْلَ الْعَجَّاجِ:

فِي بئرٍ لَا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرَ بِإِفْكِهِ حَتَّى رَأَى الصُّبْحَ جَشَرَ

فَالْحُورُ الْهَلَكَةُ يَغْنِي فِي بئرٍ هَلَكَةٍ، وَ(لَا) صِلَةٌ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَعَيْرُهُ.

وَأُنشِدَ الْأَضْمَعِيَّ لِيَزِيدَهَا قَوْلَ سَاعِدَةَ الْهُذَلِيِّ:

أَفْعَنُكَ لَا بَرْقٌ كَأَنَّ وَمِيضَهُ غَابَ تَسْنُمُهُ ضِرَامٌ مُثْقَبٌ

وَيُرَوَى أَفْمِنُكَ، وَتَشْيِيمُهُ بَدَلُ أَفْعَنُكَ، وَتَسْنُمُهُ، يَغْنِي أَعْنُكَ بَرْقٌ وَ(لَا) صِلَةٌ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ زِيَادَتِهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فَأَعْتَرْتَنِي صَبَابَةٌ وَكَادَ صَمِيمُ الْقَلْبِ لَا يُقَطِّعُ

يَغْنِي كَادَ يَنْقَطِعُ.

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُ أَبِي عُبَيْدَةَ لِيَزِيدَهَا بِقَوْلِ الشَّمَاخِ:

أَعَائِشُ مَا لِقَوْمِكَ لَا أَرَاهُمْ يَضِيغُونَ الْهَجَانَ مَعَ الْمُضِيعِ

فَلَقَطُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ (لَا) فِي بَيْتِ الشَّمَاخِ هَذَا نَافِيَةٌ لَا زَائِدَةٌ، وَمَقْصُودُهُ أَنَّهَا تَنْهَاهُ عَنِ حِفْظِ مَالِهِ

مَعَ أَنَّ أَهْلَهَا يَحْفَظُونَ مَالَهُمْ، أَيُّ: لَا أَرَى قَوْمَكَ يَضِيغُونَ مَالَهُمْ، وَأَنْتِ تُعَاتِبِينَ فِي حِفْظِ

مَالِي.

وَمَا ذَكَرَهُ الْفَرَّاءُ مِنْ أَنَّ لَفْظَةَ (لَا) لَا تَكُونُ صِلَةً إِلَّا فِي الْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ مَعْنَى الْجَحْدِ، فَهُوَ

أَغْلَبِيٌّ لَا يَصِحُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بِدَلِيلِ بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي لَا جَحْدَ فِيهَا، كَهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى

الْقَوْلِ: بَأَنَّ (لَا) فِيهَا صِلَةٌ، وَكَبَيْتِ سَاعِدَةَ الْهُذَلِيِّ.

وَمَا ذَكَرَهُ الزَّمخَشَرِيُّ مِنْ زِيَادَةِ (لَا) فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ (لَا) نَفْيٌ لِكَلَامِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَوْلُهُ:

{أُقْسِمُ} [البلد: ١] إِبْطَاتٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ قَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلَيْسَ بِوَجْهِهِ

عِنْدِي."

لأنه يحتاج إلى تقدير بعد (لا) ثم تستأنف الكلام المثبت، مثل في آية النمل {لَا يَسْجُدُوا}

[النمل: ٢٥] ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيحتاج إلى تقدير.



"وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ قَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلَيْسَ بِوَجِيهِ عِنْدِي؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقِيَامَةِ: **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: ٢]؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: ٢] يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الْإِثْبَاتَ الْمُؤْتَنَفَ بَعْدَ النَّفْيِ بِقَوْلِهِ: **{أُقْسِمُ}** [القيامة: ٢]، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الْوَجْهَ الثَّلَاثُ: أَنَّهَا حَرْفٌ نَفْيٌ أَيْضًا."

نفي القسم بالنفس اللوامة مُتَّجِهٌ، فَهِيَ عَلَى بَابِهَا، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ كَلَامٍ لِلْمَشْرُوكِينَ، ثُمَّ نَفِيهِ. "وَوَجْهُهُ أَنَّ إِشْأَاءَ الْقَسَمِ يَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ عَنِ تَعْظِيمِ الْمُقْسَمِ بِهِ، فَهُوَ نَفْيٌ لِذَلِكَ الْخَبَرِ الضَّمْنِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُعْظَمُ بِالْقَسَمِ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ عَظِيمٌ أَيْضًا بِهِ أَوْ لَا". أَقْسِمُ بِهِ أَوْ لَا هُوَ عَظِيمٌ فِي نَفْسِهِ.

طالب: .....

أَوْ لَمْ يُقْسَمَ بِهِ.

طالب: .....

وضع شدة؟

طالب: لا فتحتين.

هو عظيم سواءً أقسم به أو لم يُقْسَمَ بِهِ.

"وَهَذَا الْقَوْلُ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَصَاحِبُ رَوْحِ الْمَعَانِي، وَلَا يَخْلُو عِنْدِي مِنْ بَعْدِ. الْوَجْهَ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّامَ لَامَ الْإِبْتِدَاءِ أَشْبَعَتْ فَنَحْتَهَا، وَالْعَرَبُ رَبَّمَا أَشْبَعَتْ الْفَتْحَةَ بِالْفِ وَالْكَسْرَةَ بِيَاءٍ وَالضَّمَّةَ بِوَاوٍ".

هذا ما يُنسب إلى الحسن، مثل قراءة أبي الحسن بحذف اللام؟

طالب: .....

بحذف الألف مثل ما نُقِلَ عَنِ الْحَسَنِ.

"فَمِثَالُهُ فِي الْفَتْحَةِ قَوْلُ عَبْدِ يَعْقُوبَ بْنِ وَقَاصٍ الْحَارِثِيِّ:

وَتَضَحَّكَ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ      كَأَنَّ لَمْ تَرِي قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيًا

فَأَلْأَصْلُ كَأَنَّ لَمْ تَرِي، وَلَكِنَّ الْفَتْحَةَ أَشْبَعَتْ.

وَقَوْلُ الرَّاجِزِ:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقَ      وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِي

فَأَلْأَصْلُ تَرْضَاهَا؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ مَجْرُومٌ بِلَا النَّاهِيَةِ."

في قوله -جلَّ وعلا-: **{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ}** [يوسف: ٩٠] بالإشباع.

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي



هذا إشباعٌ للأصل أنه مجزوم بدون ياء .

"وَقَوْلُ عَنْتَرَةٍ فِي مَعْلَقَتِهِ:

يُنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ      زِيَاةً مِثْلَ الْفَنِيْقِ الْمُكْدَمِ  
فَالْأَصْلُ يَنْبُعُ يَعْنِي أَنَّ الْعَرَقَ يَنْبُعُ مِنْ عَظْمِ الذَّفْرَى مِنْ نَاقَتِهِ، فَأَشْبَعِ الْفُتْحَةَ فَصَارَ يَنْبَاعُ عَلَى  
الصَّحِيحِ.

وَقَوْلُ الرَّاجِزِ:

قُلْتُ وَقَدْ خَرْتُ عَلَى الْكَلْكَالِ      يَا نَاقَتِي مَا جُلْتِ مِنْ مَجَالِي  
فَقَوْلُهُ: (الْكَلْكَالِ) يَعْنِي: الْكَلْكَالُ، وَلَيْسَ إِشْبَاعُ الْفُتْحَةِ فِي هَذِهِ الشُّوَاهِدِ مِنْ ضَرُورَةِ الشُّعْرِ؛  
لِتَضْرِيحِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنَّ إِشْبَاعَ الْحَرْكِ بِحَرْفٍ يُنَاسِبُهَا أُسْلُوبٌ مِنْ أُسَالِيْبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛  
وَلِأَنَّهُ مَسْمُوعٌ فِي النَّثْرِ كَقَوْلِهِمْ: كَلْكَالٌ، وَخَاتَامٌ، وَدَانَاقٌ، يَعْنُونَ: كَلْكَالًا وَخَاتَمًا وَدَانَقًا.

وَمِثَالُهُ فِي إِشْبَاعِ الضَّمَّةِ بِالْوَاوِ، قَوْلُهُمْ: بَرْقُوعٌ وَمَعْلُوقٌ، يَعْنِي: بَرْقُوعًا وَمَعْلُوقًا.

وَمِثَالُ إِشْبَاعِ الْكُسْرَةِ بِالْيَاءِ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي      بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ  
فَالْأَصْلُ يَأْتِيكَ لِمَكَانِ الْجَازِمِ، وَأُنشِدَ لَهُ الْفَرَّاءُ:  
لَا عَهْدَ لِي بِنِيضِصَالِ  
وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الْجَبَّاحِينَ لِقْوَةٍ      عَلَى عَجَلٍ مَنِي أَطَاطِي شِيْمَالِي  
وَيُرْوَى: (صِيُودٍ مِنَ الْعُقْبَانِ طَاطَانَ شِيْمَالِي).

وَيُرْوَى: (دَفُوفٍ مِنَ الْعُقْبَانِ) إِلَى آخِرِهِ.

وَيُرْوَى (شِمْلَالِ) بَدَلِ شِيْمَالِ، وَعَلَيْهِ فَلَا شَاهِدَ فِي النُّبَيْتِ، إِلَّا أَنَّ رِوَايَةَ الْبِيَاءِ مَشْهُورَةٌ، وَمِثْلُ  
إِشْبَاعِ الضَّمَّةِ بِالْوَاوِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

هَجَوْتُ رَبَّانَ ثُمَّ جِئْتُ مُعْتَذِرًا      مِنْ هَجْوِ رَبَّانَ لَمْ تَهْجُ وَلَمْ تَدَعِ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

اللَّهُ أَعْلَمُ أَنَا فِي تَلْفُتِنَا      يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى إِخْوَانِنَا صُورُ  
وَإِنِّي حَيْثُمَا يَنْثِي الْهَوَى بَصْرِي      مِنْ حَيْثُمَا سَلَكَوا أَدْنُو فَاذْطُورُ

يَعْنِي فَاذْطُرُّ، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ:

لَوْ أَنَّ عَمْرًا هَمَّ أَنْ يَرْقُودَا      فَاذْطُرُّ فَشَدَّ الْمِنْزَرَ الْمَعْقُودَا



يَعْنِي: يَرُقْدُ، وَيَذُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ قِرَاءَةُ قُدْبُلٍ: (لَأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) بِلَامِ الْإِبْتِدَاءِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الْبَرِّيِّ وَالْحَسَنِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى".

وعلى هذا لا يتجه القول بأنها صلة، كونها صلة يُنافي كونها مؤكدة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}** [الأعراف: ١٢] ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ إِبْلِيسَ -لَعَنَهُ اللَّهُ- خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ إِبْلِيسَ هُوَ الْجَانُّ الَّذِي هُوَ أَبُو الْجِنِّ، فَقَدْ زَادَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَوْصَافًا لِلنَّارِ الَّتِي خَلَقَهُ مِنْهَا.

مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهَا نَارُ السَّمُومِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: **{وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ}** [الحجر: ٢٧].

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهَا خُصُوصُ الْمَارِجِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: **{وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}** [الرحمن: ١٥]، وَالْمَارِجُ أَحْضٌ مِنْ مُطَلَقِ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ اللَّهَبُ الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ.

وَسُمِّيَتْ نَارُ السَّمُومِ؛ لِأَنَّهَا تَنْفُذُ فِي مَسَامِ الْبَدَنِ؛ لِشِدَّةِ حَرِّهَا، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا-: **{«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»}** وَرَوَاهُ عَنْهَا أَيْضًا الْإِمَامُ أَحْمَدُ".

يعني كونه خلق من مارج من نار لا ينفي الإطلاق في كون الجن خلقوا من نار؛ لأن هذا جزء منه، ويصح الإطلاق حينئذ.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}** [الأعراف: ١٣].

بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ عَامِلٌ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ، حَيْثُ كَانَ قَصْدُهُ التَّعَاطُفَ وَالتَّكَبُّرَ، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ صَاغِرًا حَقِيرًا ذَلِيلًا، مُتَّصِفًا بِنَقِيضِ مَا كَانَ يُحَاوِلُهُ مِنَ الْعُظُومِ وَالْعِظَمَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: **{إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}** [الأعراف: ١٣]، وَالصَّغَارُ: أَشَدُّ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ، وَقَوْلِهِ: **{أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْخُورًا}** [الأعراف: ١٨]، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَيُفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْمُتَكَبِّرَ لَا يَنَالُ مَا أَرَادَ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالرَّفْعَةِ، إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهُ نَقِيضُ ذَلِكَ".

هذا مُجَرَّبٌ حَتَّى فِي حَيَاةِ النَّاسِ، إِذَا حَضَرَ الْإِنْسَانَ فِي مَجْلِسٍ، وَرَأَى أَنَّ لَهُ شَأْنًا بَيْنَهُمْ، وَتَوَقَّعَ أَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَهُ، فَالَّذِي يَحْصُلُ فِي الْغَالِبِ خِلَافَ ذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ خُلِقَ الْمُؤْمِنُ التَّوَاضِعَ، وَالْأَيُّ لِنَفْسِهِ حَقًّا، وَلَا يَرَى لَهُ عَنِ غَيْرِهِ رِفْعَةً وَمَكَانَةً، فَإِنْ رَأَى ذَلِكَ عُوقِبَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ.

"وَصَرَّحَ تَعَالَى بِهَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: **{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ}** [غافر: ٥٦]، وَبَيَّنَّ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَثِيرًا مِنَ الْعَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ الْكِبْرِ -أَعَادَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهُ- فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ سَبَبٌ لِصَرْفِ صَاحِبِهِ عَنِ فَهْمِ آيَاتِ اللَّهِ، وَالِإِهْتِدَاءِ بِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [الأعراف: ١٤٦] الْآيَةَ".

وبهذا استدل السقاف في رسالته له في العلم وطلبه وآدابه الرد على من اتهم شيخ الإسلام بالكبر، بعض من ترجم له قال: إنه يترفع في بعض المواضع، ويرى نفسه، قال السقاف: وهذا الكلام باطل؛ لأن الله -جلّ وعلا- قال: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ}** [الأعراف: ١٤٦]، وشيخ الإسلام القرآن على طرف لسانه وعلى أسلة بنانه، لو كان متكبرًا ما صار بهذه.

أحيانًا يُشم من بعض التعبيرات عند ابن القيم أن فيها نوع رؤية للنفس والعلم الذي يتوصّل إليه ويوضحه ويبيّنه، فتجده يُطلق بعض العبارات يحث على الحرص على فهم هذا الكلام وحفظه، ثم يقول: علّك ألا تجده في مصنف آخر ألبتة، ويقول: هذا ما يوجد عند غيري، وليس هذا مراده، وإنما مراده حفز الهمم، وحث الطلاب -طلاب العلم- على أن يُعنوا بهذا الكلام الذي تعب عليه هذا الإمام، ولا يلزم منه أن يترفع به أو يتكبر على غيره.

"وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ النَّوَاءِ فِي النَّارِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ}** [الزمر: ٦٠]، وَقَوْلِهِ: **{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}** [الصافات: ٣٥].

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا فِي قَوْلِهِ: **{لَا جَزَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلَبُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}** [النحل: ٢٣]، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى اسْتَعَاذَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِ بِهِ وَلَا يُسْتَعَاذُ إِلَّا مِمَّا هُوَ شَرٌّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: **{وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ}** [غافر: ٢٧] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَتَائِجِهِ السَّيِّئَةِ، وَعَوَاقِبِهِ الْوَحِيمَةِ. وَيُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ فِي الْآيَةِ: أَنَّ الْمُتَوَاضِعَ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- يَرْفَعُهُ اللَّهُ. وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى مَكَانَةِ الْمُتَوَاضِعِينَ لَهُ عِنْدَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: **{وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}** [الفرقان: ٦٣].

وقد ذم السلف التماوت في المشي، وهذا ليس من هذا، التماوت: إظهار النفس بخلاف ما هي عليه، بخلاف من جُبلوا على التواضع، والتمتاوت ليرى الناس أنه متواضع، وقلبه بخلاف ذلك. "وَقَوْلِهِ: **{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [القصاص: ٨٣]، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: **{إِنَّهُ أُوجِي إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ}**.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

تَوَاضَعْ تَكُنْ كَالْبَدْرِ تُبْصِرُ وَجْهَهُ      عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ  
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَغْلُو بِنَفْسِهِ      إِلَى صَفَحَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ

يقول:





تَوَاضَعُ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحٍ لِنَاضِرٍ      عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ  
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَغْلُو بِنَفْسِهِ      إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ

المعنى واحد.

"وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي:

وَلَوْ لَمْ يَغُلْ إِلَّا دُو مَحَلِّ      تَعَالَ الْجَيْشُ وَأَنْحَطَّ الْقَتَامُ

طالب: .....

"تَعَالَ الْجَيْشُ" تَرَفَّعَ يَعْنِي الْجَيْشُ، يَعْنِي كَانَ أَوْسَاطَ النَّاسِ وَمِنْ دُونِهِمْ لَا قِيَمَةَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ،  
"وَلَوْ لَمْ يَغُلْ إِلَّا دُو مَحَلِّ" كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَرُؤْسَاؤُهُمْ لَهُمُ الْمَكَانَةُ كُلُّهَا، وَأَوْلَيْكَ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ  
"وَأَنْحَطَّ الْقَتَامُ".

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}** [الأعراف: ١٤-١٥].

لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ الْغَايَةَ الَّتِي أَنْظَرَهُ إِلَيْهَا، وَقَدْ ذَكَرَهَا فِي (الْحَجْرِ) وَ(ص)، مُبَيِّنًا  
أَنَّ غَايَةَ ذَلِكَ الْإِنظَارِ هُوَ يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: فِي سُورَةِ (الْحَجْرِ) وَ(ص): **{فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}** [الحجر: ٣٧-٣٨]، فَقَدْ طَلَبَ الشَّيْطَانُ الْإِنظَارَ إِلَى  
يَوْمِ الْبُعْثِ، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْإِنظَارَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.

وَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ: الْمُرَادُ بِهِ وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

لأنها تنتهي مهمته، وهي إغواء الناس، إذا نُفِخَ فِي الصُّورِ انْتَهتِ الْمَهْمَةُ.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** [الأعراف: ١٧] هَذَا الَّذِي ذَكَرَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ سَيُوقِعُ بَنِي  
آدَمَ فِيهِ، قَالَهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ سَيُطِيعُونَهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ حَتَّى يُهْلِكَهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى فِي  
سُورَةِ (سَبَأٍ) أَنَّ ظَنَّهُ هَذَا صَدَقَ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ: **{وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ}** [سبأ: ٢٠]  
الآيَةَ، كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ}**  
[الأعراف: ١٨].

بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ قَالَ لِإِبْلِيسَ: اخْرُجْ مِنْهَا فِي حَالِ كَوْنِكَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا.  
مذموم.

طالب: .....

"فِي حَالِ كَوْنِكَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا، وَالْمَذْمُومُ: الْمَعِيْبُ".

"وَالْمَذْمُومُ: الْمَعِيْبُ أَوْ الْمَمْقُوثُ، وَالْمَدْحُورُ: الْمُبْعَدُ عَنِ الرَّحْمَةِ، الْمَطْرُودُ، وَأَنَّهُ أُوْعِدَهُ بِمَلْءِ  
جَهَنَّمَ مِنْهُ. وَأَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَأَمْلَأَنَّ**

**جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}** [ص: ٨٤-٨٥].

وَقَوْلِهِ: **﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْفُورًا \* وَاسْتَفْزَرُ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾** [الإسراء: ٦٣-٦٤]، وَقَوْلِهِ: **﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾** [الشعراء: ٩٤-٩٥]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾** [الأعراف: ٢٧]. حَذَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بَنِي آدَمَ أَنْ يَفْتِنَهُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا فَتَنَ أَبَوَيْهِمْ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنَّهُ حَذَرَ آدَمَ مِنْ مَكْرِ إِبْلِيسَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهَا وَقَعَ فِيهِ، وَلَمْ يُنَجِّهِ ذَلِكَ التَّخْذِيرُ مِنْ عَدُوِّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** [طه: ١١٧].

النفس والشيطان مصدر لإغواء كثير من الناس إلا من عصمه الله -جلَّ وعلا-.

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

يأتي إبليس ويُزين لهما ويُسَوِّل لهما، جاء إلى آدم وزوجته **﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾** [الأعراف: ٢١] حلف لهما ما مُنِعَا من الشجرة، مُنِعَا من الأكل من الشجرة إلا لئلا يكونا ملكين، أو يكونا من الخالدين، فهما صدقاه لاسيما وأنه أقسم، فهو رأس الكذب، وحامل لوائه، ومع ذلك النفس تضعف والشيطان يُسَوِّل، فيستجاب له، ولكن من عصمه الله -جلَّ وعلا- من الشيطان وشركه فهو المعصوم، وإلا فكثير من الناس **﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [الأنعام: ١١٦]، وعلى رأس الغاوين المغوين الشيطان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾** [الأعراف: ٢٨] الْآيَةَ.

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً، اسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّهَا حَقٌّ وَصَوَابٌ، بِأَنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَفْعَلُونَهَا، وَأَنَّهُمْ مَا فَعَلُوهَا، إِلَّا لِأَنَّهَا صَوَابٌ وَرُشْدٌ.

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنَّ هَذَا وَقَعَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾** [الزخرف: ٢٣].

وهذا سببه التقليد للأباء والأجداد وما كانوا عليه من غير نظرٍ ولا روية؛ ولذا حتى في مقلدة المذاهب من يقرب من الاستدلال بهذه الآية، ويتبع المتبوعين ولو كانوا علماء، ويُقلدهم من غير نظرٍ في أقوالهم التي استدلوا بها، فيأخذون الأقوال من غير نظرٍ في الأدلة، وهذا هو التقليد المذموم؛ حتى صرَّح بعضهم بتحريم الاجتهاد، حتى حرَّم بعضهم الخروج عن أقوال الأئمة ولو خالفت الكتاب والسنة، صرَّح به الصاوي وغيره، قال: ولا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة ولو خالفت الكتاب والسنة وقول الصحابي.



وذهب إلى قولٍ أخبث من هذا مؤيدًا قوله بأن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر، يعني أغمض واتبع ما عليك من أحد، لكن أين يذهب بك هذا الذي تبعته؟ قد ينجو وتهلك؛ لأنه هو وصل إلى هذا القول باجتهاد، ولكنه لم يُصب في اجتهاده فخالف، لكن أنت هل قصدت اتباع الحق أو قصدت اتباع الشخص؟ وإلا إذا أخطأ الإمام وهو ممن تبرأ الذمة بتقليده، وتابعه من غير أهل النظر والاجتهاد قلنا: تبرأ الذمة بتقليد هذا الإمام، والمقلد ما عليه، لكن أن يقصد مثل ما في كلام الصاوي: لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة؛ لأن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر، إذا لم تأخذ بالظواهر...

نعم من أدوات الاجتهاد، ومن مؤهلات النظر أن تنتظر فيما قرره الأئمة في طريقة التعامل مع النصوص؛ لأنه قد يرد نصوص متعارضة مختلفة تحتاج إلى إجابة نظر على حسب ما قرره أهل العلم وقعدوه وحرروه في كيفية التعامل مع النصوص المتعارضة، وإلا فالعامي في الأصل فرضه التقليد، يعني ليست لديه أهلية نظر ولا اجتهاد تُلزمه بما لا يُطبق، ولا يستطيع الوصول إليه ما يمكن، لكن عليه أن يُحضر نية الاتباع، وأنه إذا وُجد عنده إمامان كلاهما من أهل النظر والاجتهاد، وقد تخالفت أقوالهم، اختلفت، وتعارضت فعليه أن يُعيد النظر في طريقته، ويسأل ويتأكد، وما دليل هذا؟ وإلا فتكليفه بمعرفة الأدلة والوصول إليها بنفسه تكليف بما لا يُمكن، بما لا يُطاق.

**طالب:** .....

ماذا تقول أنت؟

**طالب:** .....

ما أعرفه ولا أسمع كلامه، وأنا مع هذه المسألة من أكثر من أربعين سنة؛ حتى إنني سألت الشيخ ابن باز، وقلت له: إذا كان الدليل -وليس فيه معارضة صريحة- إذا ورد دليل فيه أمرٌ أو نهي وعامة أهل العلم حملوا الأمر على الاستحباب، والنهي على الكراهة، ولم يقل: بالوجوب أو التحريم إلا الظاهرية، ما الحكم؟ الأئمة كلهم وأتباعهم من القرن الثاني إلى يومنا هذا على الاستحباب، وقال الظاهرية بالوجوب.

**طالب:** .....

لكن لا بُد أن تتهم نفسك يمكن أن تكون هناك في قرينة ما توصلت إليها، ممكن وإلا فالملايين من هذه الجموع الغفيرة التي تقصد الحق وتبحث عنه أئمة كبار أهل علم وعمل، وأهل نصوص واتباع واقفاء، وخوف وخشية من الله -جلّ وعلا- يُخالفون مراد الله -جلّ وعلا- بمجرد التشهي؟ حاشا وكلا، فالمسألة تحتاج إلى إعادة نظر.

**طالب:** .....

توقف كثيرًا وطويلاً، ثم قال: الحكم النص.

طالب: .....

الصاوي يُبرر؛ لأن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر، هذا ضد قول الظاهرية، وهو يرد على الظاهرية، من الخطير كلامه، وكثير من المقلدة إن لم يُصريحوا فهذا مآله.

طالب: .....

أقول: المقلدة الذين لا ينظرون في شيء إلا قول الإمام، تدري أن واحداً من متعصبة الحنفية لما صلى بجانبه شخص يرفع إصبعه في التشهد، ماذا صنع؟ كسر إصبعه، وقُل في هذا قضايا كثيرة جداً، لكن الله المستعان، من قاده الكتاب والسنة وصل إلى بر الأمان.

"وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ: **{أَوْلُو كَانْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** [البقرة: ١٧٠]، وَقَوْلِهِ: **{أَوْلُو كَانْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** [المائدة: ١٠٤]، وَقَوْلِهِ: **{قَالَ أَوْلُو جِنَّتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ}** [الزخرف: ٢٤]، وَقَوْلِهِ: **{إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ \* فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}** [الصافات: ٦٩-٧٠] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ \* فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ}** [الأعراف: ٢٩-٣٠].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لِلْعُلَمَاءِ وَجْهَانِ مِنَ التَّفْسِيرِ:

الأول: أَنْ مَعْنَى **{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}** [الأعراف: ٢٩] أَيْ: كَمَا سَبَقَ لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ، فَإِنَّكُمْ تَصِيرُونَ إِلَيْهِ، فَمَنْ سَبَقَ لَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ سَعِيدٌ صَارَ إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ سَبَقَ لَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ شَقِيٌّ صَارَ إِلَى الشَّقَاوَةِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ: **{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ}** [الأعراف: ٣٠]، وَهُوَ ظَاهِرٌ كَمَا تَرَى، وَمِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}** [التغابن: ٢]، وَقَوْلُهُ: **{وَلِلَّذِينَ خَلَقْتُمْ}** [هود: ١١٩] الْآيَةَ، أَيْ: وَلِلَّذِينَ الْإِخْتِلَافَ إِلَى شَقِيٍّ، وَسَعِيدٍ خَلَقْتُمْ.

الوجه الثاني: أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: **{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}** [الأعراف: ٢٩]، أَيْ: كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلًا، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَإِنَّهُ يُعِيدُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ أَنْ مِتُّمْ وَصِرْتُمْ عِظَامًا رَمِيمًا، وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، كَقَوْلِهِ: **{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا}** [الأنبياء: ١٠٤] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: **{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}** [الروم: ٢٧] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: **{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}** [يس: ٧٩] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ النَّبِيِّ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ}** [الحج: ٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ.

يعني في مقدمة الكتاب ذكر أمثلة على بيان القرآن بالقرآن، وأن البيان أحياناً يحتمل وجهًا واحدًا، وأحياناً يحتمل أكثر من وجه، وكلها لها ما يؤيدها من الكتاب، وحينئذ تكون كلها صحيحة، مثل ما عندنا الآن الوجه الأول، والوجه الثاني لهما مؤيدات من الكتاب، فالحمل عليها صحيح. "أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْآيَةِ وَجْهَانِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَقٌّ، وَيَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ، فَتَذَكَّرُ الْجَمِيعُ؛ لِأَنَّهُ كَلَّمَهُ حَقٌّ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى".

طالب: .....

لكن قد يكون أحدهما أليق وأقرب إلى السياق، فيرجح به، ويبقى الوجه الثاني صحيحًا وله سياقه.

طالب: .....

ما هو بالنزاع في هذا، ما هو بالنزاع إذا تساوى الوجهان، ولهم أدلة، وهذا له أدلة، وكانا على حدٍ سواء فيكون الوجهان مقصودين، ومع ذلك يبقى أن للسياق وجهًا للترجيح.

طالب: .....

ما اختلاف التنوع؟ أنا أقول: مثل اختلاف التنوع، هل منه هذا؟

طالب: .....

هات لي مثالًا لاختلاف التنوع.

طالب: .....

ماذا فيه؟

طالب: .....

يعني ورود تفسير الكلمة أو الجملة عن السلف بألفاظٍ مختلفة ومؤداها واحد، هذه ليس مؤداها واحدًا، التي معنا ليس مؤداها واحدًا.

طالب: .....

لا، لا، ليس بصحيح، ليس من هذا.

**قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف: ٣٠].**

بَيَّنَّ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْكُفَّارَ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمِنْ تِلْكَ الْمُوَالَاةِ طَاعَتُهُمْ لَهُمْ فِيمَا يَخَالِفُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَعَ ذَلِكَ يَطْنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى هُدَى.

وَبَيَّنَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَحْسَرُ النَّاسِ عَمَلًا -وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى- وَهُوَ قَوْلُهُ -جَلَّ وَعَلَا-: **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ**

**يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣-١٠٤].**

تَنْبِيْهُ: هَذِهِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَنْفَعُهُ ظَنُّهُ أَنَّهُ عَلَى هُدَى؛ لِأَنَّ الْأَدِلَّةَ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ لَمْ تَتْرُكْ فِي الْحَقِّ لَبْسًا وَلَا شُبُهَةً، وَلَكِنَّ الْكَافِرَ لِشِدَّةِ تَعَصُّبِهِ لِلْكَفْرِ لَا يَكَادُ

يُفَكِّرُ فِي الْأَدِلَّةِ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، لَجَاجًا فِي الْبَاطِلِ، وَعِنَادًا؛ فَلِذَلِكَ كَانَ غَيْرَ مَعْدُورٍ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى".

التعصب يُعْمَى وَيُصَمُّ، فَإِذَا تَعَصَّبْتَ لِقَوْلِكَ أَوْ لغيرِكَ وَأوردَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا التَّعَصُّبَ الَّذِي لِلنَّفْسِ أَوْ لِلغَيْرِ يُعْمِيكَ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ؛ وَلِهَذَا وَقَعَ كَثِيرٌ مِنْ أَوْفَاءِ مَنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي الشَّرْكِ، وَالْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَاهِرَةٌ، وَخِلَاصَةٌ مَا يَقُولُ لَكَ: الشَّيْخُ فَلَانٌ يَقُولُ كَذَا، تَقُولُ لَهُ: الْقُرْآنُ، يَقُولُ لَكَ: الشَّيْخُ فَلَانٌ هُوَ أَعْرَفُ مِنِّي، وَلَوْ كَانَ كَلَامُكَ حَقًّا مَا خَالَفَهُ الشَّيْخُ فَلَانٌ، هُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْخَ فَلَانٌ أَوْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، يَجْزَمُ بِأَنَّهُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، لَكِنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي مَنْزِلَةِ الْمَعْصُومِ، وَإِذَا أوردتَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَّبِعِينَ يَخَالِفُونَ قَوْلَ هَذَا الْإِمَامِ يردُ عَلَيْكَ بِأَنَّ هَذَا إِمَامٌ عِنْدَكَ وَقُدْوَةٌ لَكَ، وَنَحْنُ عِنْدَنَا أُمَّتُنَا وَقُدْوَاتُنَا، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، يُصْرِّحُونَ بِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ.